١٠١ — أحسنت والله ! هذا أحسن

قال ابن الخطيب البغدادى : كان بين أبوى العباس (ثعلب والمبرّد) منافرات كثيرة ، والناس مختلفون فى تفضيل كل واحد منهما على صاحبه . وقال محمد بن خلف : كان بين المبرد وثعلب من المنافرة ما لإخفاء به ، ولكن أهل التحصيل يفضلون المبرد على ثعلب

قال عبيد الله [1] بن عبد الله بن طاهر : حضرت مجلس أخى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وحضره أبو العباس ثعلب وأبو العباس المبرد النحويان . فقال لى أخى محمد : قد حضر هذان الشيخان وأنا أحب أن أعرف أيهما أعلم ، فاجلس فى الدار الفلانية ، ويحضر هذان الشيخان بحضرتك ويتناظران ففعلت ما أمر ، وحضرا فتناظرا فى شىء من علم النحو مما أعرفه ، فكنت أشاركهما فيه ، إلى أن دققا فلم أفهم ، ثم عدت بعد انقضاء المجلس ، فسألنى فقلت : إنهما تكلما فيما أعرف فشاركتهما فى معرفتى ، ثم دققا فلم أعرف ما قالا . ولا والله يا سيدى ، ما يعرف أعلمهما إلا من هو أعلم منهما ، ولست ذاك الرجل فقال أخى : أحسنت والله ! هذا أحسن [2]

(١) له محل من الأدب والتصرف فى فنونه وروايه الشعر وقوله ، والعلم باللغة وأيام الناس ، وعلوم الاوائل من الفلاسفة فى الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يجل عن الوصف (الاغانى) (٢) يعنى اعترافه بذلك

لسان العرب

لابن منظور الافريقى مرتبا ترتيبا حديثا

إجابة لرجاء الكثيرين لا تزال الفرصة سانحة للذين يبتغون الحصول على اشتراك مخفض فى الجزء الثالث والرابع من اللسان فأرسل ٢٠ قرشا صاغا تعتبر مشتركا فيهما — وأضف ٣٠ مليما للبريد فى مصر وضعفها فى الخارج

ملاحظة ثمن الجزء الأول والثانى الآن ٣٠ قرشا صاغا عدا أجرة البريد

الاشتراكات ترسل باسم : عبد الله اسماعيل الصاوى صاحب دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف بشارع الأزهر عند الخليج المصرى

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

نشيد الرقص

ومر زارا بالغاب يوماً ومعه صحبه فاكتشف وهو يفتش عن ينبوع مرجاً منبسطاً بين الأشجار والأدغال . وكان هنالك رهط من الصبايا يرقصن بعيداً عن أعين الرقباء . وإذ لمحن القادم وعرفنه توقفن عن الرقص ولكن زارا اقترب منهن وخاطبهن قائلا .

— داومن على رقصكن ، أيتها الآنسات الجميلات ، فما القادم بمزعج للفرحين وما هو بعدو للصبايا . انا من يدافع عن الله أمام الشيطان ، وما الشيطان إلا الروح الثقيل فهل يسعنى أن أكون عدواً لما فيكن من بهاء ورشاقة وخفة روح؟ وهل لى أن أكون عدواً للرقص الالهى ترسمه مثل هذه الأقدام الضوامر الرشيقات . . . ؟

لاريب فى أننى غابة اشتبكت فيها قامات الأشجار وساد الحلك على أرجائها ولكن من يقتحم ظلماتى بلا خوف ليجدن تحت سرواتى الرهيبات طرقاً تحف بجانبيها الورود . وليجدن أيضاً الاله الصغير الذى تشتاقه الصبايا منطرحا بسكون قرب الينبوع وقد أغمض عينيه

لقد نام فى وقت الظهيرة ، هذا الاله المتراخى ، ولعله سعى طويلا ليصطاد من الفراشات عدداً كبيراً . .

لا يكدركن منى أيتها الراقصات الجميلات تأديبى لهذا الاله الصغير ، ولعله يصيح ويبكى ولكنه إله يجلب المسرة حتى فى بكائه . فلسوف اقتاده إليكن والدموع سائلة على خديه ليطلب اليكن أن ترقصنه ، وإذا مارقص فسأرافقه أنا بانشادى فما تجىء نغماتى إلا هزيجاً أصفع به الروح الثقيل ، روح الشيطان المتعالى الذى يقول الناس إنه يسود العالم

وهذه هى الأغنية التى رفع زارا صوته بها بينما كان (كوبيدون) إله الحب يرقص مع الصبايا الفاتنات :

« لقد حدقت يوماً فى عينيك ، أيتها الحياة ، فحسبتنى هويت إلى غور بعيد القرار . غير أنك سحبتنى بشابك من ذهب وأطلقت قهقهة ساخرة عند ماقلت إن غدرك لاقرار له . وأجبتنى : — هذا ماتقوله الأسماك جميعها ، فهى إذ تعجز عن سبر الأغوار تحسبها لاقرار لها . وهل أنا إلا المتقلبة النفور ؟ وهل أنا إلا امرأة ، وامرأة لافضيلة لها . . لقد تقول الناس كثيراً عن صفاتى ولكنهم أجمعوا على أننى غير المتناهية ، المليئة بالأسرار

أيها الرجال ، إنكم ترون فى فضائلكم ، فأنتم لاقبل لكم بادراك شىء آخر غيرها أيها الفضلاء . . .

هذا ما كانت تقهقه به فى سخريتها تلك الحياة ، غير أننى لا أثق بها ولا أصدق ضحكها عند ما تهجو نفسها

وناجيت يوماً حكمتى النفورة فقالت لى غاضبة :— إنك تطلب الحياة وتشتاقها وتحبها وذلك ما يحفز بك إلى بذل الثناء عليها

ولولا أننى تمالكت نفسى لكنت رددت بعنف على حكمتى وأعلنت الحقيقة لها وهى تغاضبنى وهل من جواب أشد وقعا على الحكمة من أن تهتك سرائرها

ما أحب شيئاً من صميم الفؤاد إلا الحياة ، ولا يبلغ حبى لها أشده إلا حين أكرهها . وإذا ما أنا اندفعت إلى الحكمة وأغرقت فى الالتجاء إليها فما ذلك إلا لأنها تبالغ بتذكيرى بالحياة . فان للحكمة عينى الحياة ولها ابتسامتها . بل لها أيضاً شابكها المذهب ، فما حيلتى بهما إذا تشابهتا إلى هذا الحد ؟

وعند ما سألتنى الحياة عن الحكمة أجبتها : هى الحكمة يشتهيها الانسان بكل قوته ولا يشبع منها . فهو يحدق فيها ليتبين وجهها من وراء القناع ويمد أصابعه بين فرجات شباكها متسائلا عن جمالها وما يدريه ما هو هذا الجمال ومع هذا فان أقدم الأسماء لا تنفك عن الانجذاب إلى طعمة شباكها فهى متقلبة شديدة المراس . ولكم رأيتها تعض على شفتها وتسرح شعرها ، ولعلها شريرة ومخادعة ، بل لعل لها صفات المرأة بأجمعها فهى لا تبلغ أبعد مداها فى اجتذاب القلوب إلا عند ما تهجو ذاتها ...

وبعد أن قلت هذا عن الحكمة للحياة ، مرت على شفتيها ابتسامة شريرة وغضت من جفنيها قائلة : ـ عمن تتكلم ... لعلك تتكلم عنى أنا ... وهل للانسان أن يعلن مثل هذه الأمور بوجه من تعنيه حتى ولو كان محقاً . فما قولك الآن فى حكمتك يا هذا ... ؟

وفتحت الحياة المحبوبة عينيها فحسبتنى عدت إلى التدهور فى الهاوية البعيدة القرار »

هذا ما يتغنى زارا به وما انتهى الرقص وتوارت الصبايا عن أبصاره حتى تملكه حزن عميق فقال : لقد اختفت الشمس وترطب المرج وقد بدأ الغاب يرسل لفحاته الباردات . إن شيئا مجهولا يدور حولى ويحدجنى قائلا : ـ ألم تزل على قيد الحياة ، يا زارا ؟ ولماذا أنت حى بعد ؟ وما هى فائدة هذه الحياة ؟ ما هو مصدرك وإلى أين مصيرك أفليس من الجنون أن تبقى فى الحياة ؟

ويلاه ، أيها الصحاب ، إن ما يتناجى فىّ إنما هو الغسق فاغتفروا لى شجونى . لقد جاء المساء فاغتفروا الى قدوم المساء ...

هكذا تكلم زارا ... ...

الكهنة

وتمثل زارا مرور رهط من الكهنة أمامه ، فقال لأتباعه : هؤلاء هم الكهنة ؛ فعليكم ـ وإن كانوا أعدائى ـ أن تمروا أمامهم صامتين وسيوفكم ساكنة فى أغمادها فإن بينهم أبطالا ومنهم من تحملوا شديد العذاب فهم لذلك يريدون أن يعذبوا الآخرين .

إنهم لأعداء خطرون ، ومامن حقد يوازى مافى اتضاعهم من ضغينة ، وقد يتعرض من يهاجمهم إلى تلطيخ نفسه . ولكن بينى وبينهم صلة الدم وأنا أريد أن يبقى دمى مشرفاً حتى فى دمائهم .

وعاد زارا يتمثل أنهم مروا وانصرفوا ، فشعر بألم شديد قاومه لحظة حتى سكن روعه ، فقال : ـ إننى أشفق على هؤلاء

الكهنة ، وأنا لا أزال أنفر منهم ولكنني تعودت الاشفاق مرغماً نفوري منذ صحبت بني الانسان ، ومع ذلك فأنا أتألم مع هؤلاء الكهنة لأنهم في نظري سجناء يحملون وسم المنبوذين في العالم ، وما كبلهم بالاصفاد إلا من دعوه مخلصاً لهم ، وما أصفادهم إلا الوصايا الكاذبة والكلمات الوهمية ، فمن لهؤلاء من يخلصهم من مخلصهم ...

لقد لاحت لهؤلاء الناس جزيرة في البحر على حين ثارت عليهم زوبعة فنزلوا اليها فاذا هم على ظهر تنين نائم على العباب

وهل من تنين أشد خطراً على أبناء الحياة من تنين الوصايا والكلمات الوهمية وقد كمن فيها المقدور طويلا حتى حان وقت انتباه التنين؟ وها هو يهب مفترساً جميع من بنوا مساكنهم على ظهره .

انظروا إلى المساكن التي بناها هؤلاء الكهنة وقد أسموها كنائس وما هي إلا كهوف تنبعث روائح التعفن منها . وهل للروح أن ترتفع إلى مستواها تحت لآلاء هذه الأنوار الكاذبة وفي هذا الجو الكثيف ، حيث لا يسود إلا عقيدة تصم الناس بالخطيئة وتأمرهم بصعود درجات الهيكل زحفاً على الركب

انني لأفضل أن أنظر الى اللحظات الفاحشة من أن أرى هذه العيون أطبقت أجفانها معلنة خشوعها واستغراقها .

من ذا الذي اخترع هذه الكهوف وهذه الدرجات يرقاها النادمون زاحفين ، أهي من إيحاد من استحيوا من صفاء السماء فلجأوا إلى الاستتار؟

لن أعود بقلبي ألج مساكن هذا الاله إلا اذا انثلمت قبابها واخترقها نور السماء الصافية لتكشف عن الشقائق الحمراء النابتة على جدرانها المتهدمة .

لقد أراد هؤلاء الكهنة أن يعيشوا كأشلاء اموات فسربلوا جثثهم بالسواد فاذا هم ألقوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحود .

إن من يجاور هؤلاء الناس فكأنما هو ساكن على ضفة الأنهار السوداء حيث لا يسمع إلا نقيق الضفادع الحزين

ليسمعني هؤلاء الناس نشيداً غير هذا النشيد لأمرن نفسي على الاعتقاد بمخلصهم ، إذ لا يلوح لي أن أتباع هذا المخلص قد ظفروا بالخلاص .

لكم أتمنى أن أراهم عراة ، وهل لغير الجمال أن يدعوا الناس إلى التوبة ، ولكنهم عبارة عن فجائع مستترة لا يسعها أن تجتذب إلى الايمان أحداً .

والحق ، أن مخلصي هؤلاء الكهنة نفسهم لم ينحدروا من سماء الحرية وما وطئوا مسالك المعرفة قط ، فما كانت حكمتهم إلا نسيجا ملأته الخروق رقعوه بما أوجد جنونهم من آلهة . لقد أغرقتهم حكمتهم في بحيرة الأشفاق فهم كلما زفروا فيها أرسلوا بجثة عظمى تطفو على سطحها .

ولقد زعق هؤلاء الرعاة بقطعانهم فضت متدافعة في فجوة واحدة وقد علا صراخها كأن التوصل إلى مخارج المستقبل ممتنع من غير هذه الفجوة الضيقة . أما والحق ما هؤلاء الرعاة إلا فريق من هذه السائمة وقد ضاقت عقولهم ورحبت نفوسهم وسرعان ما تصغر العقول إذا كبرت النفوس .

لقد تركوا على كل معبر اجتازته أرجلهم آثار الدماء ، إذ كانوا يستلهمون جنونهم ليعلموا الناس أن الدماء تقوم شاهدة للحق . وقد جهلوا أن أفسد شهادة تقوم للحق إنما هي شهادة الدم ، لأن الدم يقطر سماً على أنقى التعاليم فيحولها إلى جنون وإلى أحقاد .

أفتقيمون للحق دليلا من اقتحام أحد الناس للهب في سبيل تعاليمه . وهل لمثل هذا التعليم ما للعقيدة التي تتولد متقدة من لهبها نفسه ؟ إذا ما تلاقى رأس بارد بقلب مضطرم نشأت من التقائهما تلك العاصفة التي يدعوها الناس مخلصاً .

ولكم وجد على الأرض من رجل أعرق منشأ وأرفع مقاماً ممن يدعوهم الشعب مخلصين ، وما كان هؤلاء المخلصون إلا عاصفات كاسحات تهب متوالية على الأرض

اذا ما كنتم تنشدون سبل الحرية ، أيها الاخوة ، فعليكم أن تنقذوا أنفسكم حتى ممن يفوقون هؤلاء المخلصين عظمة ومجدا . فان الانسان الكامل لم يظهر على الأرض بعد . لقد حدقت باعظم رجل وباحقر رجل عن كثب وهما عاريان فظهرا لعيني متشابهين ، بل رأيت أعظمهما أشد توغلا في المعائب البشرية من الآخرين .

هكذا تكلم زارا ... ...